جامعة إب
مجلة الباحث الجامعي
ISSN: 2079-5068 ISSN (online): 2663-3930

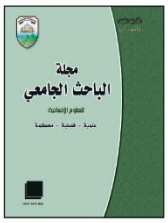

دور الاستجابة المجتمعية القائمة على مبدأ الشراكة في تحقيق التنمية المستدامة في ضوء القران الكريم(دراسة تحليلية وصفية)

محمد حمود عبده الوقاحي*

قسم علوم القرآن والدراسات الإسلامية، كلية الآداب، جامعة إب، اليمن

***Email:** d.m.alwqahi2020@gmail.com

الكلمات المفتاحية:

الاستجابة، التنمية، الاستقرار، الاستدامة، المجتمع،

الملخص

تُعَد الاستجابة المجتمعية من أهم عوامل تقدم الأمم، وسرا من أسرار نهضتها وقوتها، ولكن الاستجابة غير الرشيدة سبب من أسباب التردّي والانتكاس المجتمعي، ويأتي هذا البحث لتقديم دراسة واضحة المعالم في مفهوم الاستجابة المجتمعية في ضوء القرآن الكريم، وأهميتها في رسم المسارات التنموية النموذجية للأجيال المتعاقبة، وأهمية هذه الروابط المجتمعية في دعم الاستقرار والبناء المجتمعي، ودور الاستجابة الفاعلة، في نقل المفاهيم التنموية إلى ممارسات، وتحسين الأوضاع، والقضاء على الأمراض الاقتصادية، الاجتماعية، الإدارية... الخ ، والحد من الجهل، ونزع فتيل الحروب والصراعات المجتمعية، التي تصيب المجتمعات دون معالجة أسبابها الجوهرية.

وخلص البحث إلى أن التنمية المستدامة، لا يمكن تحقيقها في مجتمع إلا بالاستجابة الإنسانية الفاعلة وفق مبدأ الشراكة العادلة، والعمل الجاد، والرؤية الموحدة، والالتزام بالضوابط والموجهات الربانية، وجعل الفرد موصولاً بربه وبمجتمعه.

دور الاستجابة المجتمعية القائمة على مبدأ الشراكة في تحقيق التنمية المستدامة في ضوء القران الكريم. (دراسة تحليلية وصفية)

The Role of Community Response Based on the Principle of Partnership in Achieving Sustainable Development in Light of the Holy Quran (An Analytical and Descriptive Study)

Mohammed Hamoud Abdoh Al-Wqahi*
Department of Quranic Sciences and Islamic Studies, Faculty of Arts, Ibb University, Yemen
***Email:** d.m.alwqahi2020@gmail.com

Keywords:
Response, development, stability, sustainability, society,

Abstract:
Community response is among the most important factors for the progress of nations and a secret behind their advancement and strength. However, unwise response is a cause of societal decline and regression. This research presents a study with clear delineations on the concept of community response in light of the Holy Quran, its importance in charting exemplary developmental pathways for successive generations, and the significance of these communal bonds in supporting stability and societal development. It also highlights the role of effective response in translating developmental concepts into practices, improving conditions, and eradicating economic, social, administrative, scientific, political, military, developmental, cultural, environmental, doctrinal, technological, personal, intellectual, spiritual, and sectarian ailments, as well as reducing ignorance and uprooting the seeds of wars and societal conflicts that afflict societies without addressing their root causes.
Furthermore, this research clarifies that sustainable development cannot be achieved in any society except through effective human response based on the principle of fair partnership, diligent work, a unified vision, adherence to divine regulations and guidance, and ensuring the individual remains connected to both their Creator and their society.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، الذي عَلَّمَ بالقلم وأسدى النعم، ودبر الأمر في السماء والأرض، وأنزل القرآن وجعله﴿ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾[النحل:89]، والصلاة والسلام على رسول الله – ﷺ –المبعوث بالهدى والنور لخير البشرية وتمام الرسالة، وصلاح المجتمع لبلوغ الفلاح والزكاء والنماء والتماسك والتكافل الإنساني، والعيش بسلام، والسير إلى الله على بصيرة.

فمنذ أن خلق الله هذا الإنسان، والهدايات والتجلّيَّات والإرشادات الربَّانية مستمرة في صياغة الكيان البشري وتوجيهه، ترافقه خطوة بخطوة في مسيرة حياته، حتى اختتم الله التنزيل بكتابه الكريم والمعجزة الخالدة والدستور الباقي لحركة الكون وكل من فيه، فجاء النور الهادي والبيان الكافي عبر أنبياء الله ورسله، ليجلوا تلك الظلمات فيحسن السير وتتضح الرؤية؛ بقوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى:52]، فكانت رعاية الله حاضرةً تحيط الإنسان من كل اتجاه وفي كل زمان، وكانت هذه الآيات بمنزلة تنمية لنبيه الكريم –ﷺ– في فكره ومنهجه وسلوكه وعمله وتعامله، واستطاعت هذه التنمية أن ترفع نبينا الكريم إلى نور العلم والحكمة والإنسانية، وقد سطرت الاستجابة العلمية النموذجية، أبرز وأروع المعان التربوية العظيمة، لاستلهامها من كتاب حكيم، يقول تعالى:﴿ الٓرٰ ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [إبراهيم:1]، فالقرآن الكريم أنما هدفه إخراج الناس من الظلمات إلى النور وفق مراد الله تعالى وتطبيق أوامره الكاملة والتي تسعى إلى إسعاد الإنسان من خلال تنمية تشاركية شاملة مستدامة لينال حظي الدنيا والآخرة.

مشكلة البحث:

يعالج البحث مشكلة البعد عن الموجهات واللوائح، وأثر في حدوث التردي والانتكاس المجتمعي التنموي، والتراجع الظاهر في المسار التنموي والاقتصادي، القائم على التفرد وعدم الاستجابة.

أهداف البحث:

– إبراز دور القرآن الكريم في صياغة شخصية الفرد والرقي بالمجتمع، ونقل المفاهيم التنموية إلى ممارسات، وتحقيق الاستجابة للموجهات التي تضمن حياة أفضل للإنسانية.

أهمية البحث:

– تبرز أهمية البحث في كونه يقدم رؤية لتفعيل الاستجابة من خلال احترام الإنسان وتمكينه من حقوقه، وإشباع حاجاته الأساسية، التي تحقق التكامل والتكافل المجتمعي وتعزز التقارب المجتمعي والانطلاق من مسار موحد.

سبب اختيار البحث:

- وجود الهوة المجتمعية بين الأفراد والكيانات داخل المجتمع الواحد، الناتج عن الفوارق بأنواعها وخلو المفاهيم التنموية من التطبيق والممارسة.
- وصول المجتمع لحالة من التفكك والصراع الاجتماع وعدم الانسجام، وكثرة المعاناة والشكاوى.
- ضعف المشاركة والتفرد بالرأي أو الارتباطات النفعية وأثر ذلك على التنمية المستدامة والتطور المجتمعي.

منهج البحث:

1) اعتمد الباحث أسلوب البحث العلمي المنهجي في تتبع الآيات القرآنية وجمع ما يتعلق بالموضوع في مصادره الرئيسية، من خلال المنهج التحليلي الوصفي.

2) مراجعة أشهر كتب التفاسير وأسلمها وتحليل معاني الآيات والتأكد من صحة الاستدلال والاستنباط؛ وإيضاح سبق النظم الاجتماعية في القرآن الكريم ودورها التنموي الكبير في حياة المجتمعات.

خطة البحث:

قام الباحث بتقسيم البحث إلى مقدمة وخمسة مطالب وخاتمة وفهارس على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها إشارة الى أهمية الاستجابة ودور الموجهات في نقل حياة الأفراد إلى واقع أفضل ودور القرآن في حياة الأنبياء والرسل منذ أن خلق الله الأرض.

المطلب الأول: الاستجابة المجتمعية ودورها التنموي في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: العمليات الاجتماعية للمشاركة المجتمعية.

أولاً: التعاون.

ثانياً: التكامل والتكافل الاجتماعي.

ثالثاً: ترسيخ قيم المساواة والتعايش الاجتماعي.

المطلب الثالث: التطبيق العملي للمفاهيم الفكرية والنظرية.

المطلب الرابع: الكشف عن المشكلات المجتمعية ومعالجتها

أولاً: تشخيص مشكلات المجتمع وتحديدها.

ثانياً: مقترحات وتصورات علاجها.

المطلب الخامس: الالتزام الجمعي بالضوابط واللوائح والقوانين.

المطلب الأول: الاستجابة المجتمعية ودورها التنموي في القرآن الكريم.

حين أراد الله عمارة هذا الكون، وإنشاء مجتمع على الأرض، وهو العليم بمكونات المجتمع، قال-ﷻ- مخاطباً ملائكته: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[البقرة:30]، فقد خلق الله الإنسان، وأمده بالنظم والموجهات الكلية للحياة، ليستطيع من خلالها، إيجاد العلاقات والروابط التي تربط الإنسان بأخيه الإنسان، وتربطه بالأرض وبالطبيعة.[1]

والناظر في واقع المجتمع يجد تناقضاً كبيراً بين أعمال الناس وحاجاتهم، وما يتوقون للوصول إليه لتغيير أحوالهم، وتحسين أوضاعهم.

ومن أجل ذلك جاء القرآن بالأسس المتكاملة، والنّظام البديع الذي يقوم عليه المجتمع، ويمتاز

بالشمول والواقعيّة، ويضمن سير الحياة، على وجه يحقق العدل والأمن والحياة الكريمة لكافّة أفراده، يقول -ﷻ- ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام:38].

وفي هذا المنهج السماوي الفرصة الوفيرة للمشاركة وتحقيق التنمية والبناء، وإذ يضمن السمو إلى مستوى رفيع من الإنتاج الاقتصاديّ والزراعيّ والتجاريّ والصناعيّ، وفي المجالات كافة، ويحصل التّوازن في سعي النّاس، بين قيامهم بمتطلبات الحياة، واستثمار ما سخّره الله لهم على الأرض لبلوغ الأهداف.[2]

والاستخلاف لا يتحقَّق إلا من خلال عناصر تضمن البقاء وتحقق الاستجابة والمشاركة والبناء، وهذه العناصر هي: 1.الإنسان 2.الأرض 3.العلاقة، 4.الاستخلاف: الذي يحوي كل العناصر السابقة، ولذلك سخّر الله -ﷻ- للإنسان وحده الكون بما فيه استعمالاً وانتفاعاً، واستنباطا واختراعاً، وإفادة واستكشافاً مستمراً[3]. وكتاب الله العظيم يتفرد في صياغته لشخصية الفرد، ليصبح عنصراً فاعلاً يسعى إلى العمل على تحقق التعايش والشراكة بوصف ذلك مقصد أسمى في الحياة، والرقي بالمجتمع، وتحقيق الاستجابة لدواعي الخير، لتستقيم علاقات المجتمع في الحياة [4].

المطلب الثاني: العمليات الاجتماعية للمشاركة المجتمعية.

إن المتتبع لتاريخ العلاقات العامة، والارتباط بين كيانات المجتمع وأفراده، يجد أنها قديمة قدم المجتمع البشري، ونتيجة للاختلاف والتفاوت في القدرات والمواهب، فلا بد لأحدهم أن يكمل الآخر، ومن ثم لا يمكن أن يعيش فرد بمعزل عن الآخرين[5]، ثم إن من ينشد الحقّ للحق، وينظر إلى تاريخ المسلمين المُشرق، يوم كان الإسلام دستورهم العامل في حياتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية، والاهتداء بقوله تعالى: ﴿ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾[النساء:26]. فكان مجتمعاً بشرياً لم تعرف الحياة مثيلاً له، في ماضيها وحاضرها.. مجتمعا متماسكاً متعايشاً ملأ يديه من طيبات الحياة في أصفى مواردها، وأكرم منازلها، فكانت قدمه على الأرض، ورأسه في السماء[6] .

فالهدف العظيم للإنسانية إيجاد مجتمع منسجم، يعيش فيه الناس إخواناً، يعاون بعضهم بعضاً، ويتناصحون ويتكاملون، قال تعالى: ﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾[العصر:3]. وتعبير «**التواصي**» قوي، لأنه يعبر عن المشاركة والتعايش، فلا يكفي أن يلتزم الإنسان بنفسه، بل يستهدف تضامن أفراد المجتمع في الحق وإحقاقه، والصبر في شد بعضهم أزر بعض، في الأحداث الملمة والمصاعب المدلهمة.[7]

وقد جاء الأنبياء تباعاً يهدون المجتمع الإنساني إلى الخير، والإرشاد الى قيم الشراكة وتنظيم الحياة، وقامت الحكومات وشُرّعت القوانين لتهذيب الغرائز الإنسانية، والحد من شهواتها، وتنظيم المعاملات فيما بين الأفراد[8] , قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[الإسراء:9].

إن التعاملات الفردية قد تخلق الحقد والعداء مع مجتمع بأكمله، وتنهي أواصر الشراكة والتعايش، يقول-ﷻ-: ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ﴾[الأنعام: 108]، وقد نهى-ﷻ-المسلمين عن سب آلهة المشركين، مع أنها باطلة؛ لئلا يكون ذلك ذريعةً للمشركين في سب الإله الحق-ﷻ-انتصاراً لآلهتهم، ومعاملةً للمسلمين بمثل ما قالوا [9].

وهناك مجموعة من العمليات الاجتماعية التي تحقق المشاركة المجتمعية الواسعة على النحو الآتي:

أولاً: التعاون:

يشير القرآن الكريم إلى قيمة التعاون في حياة المجتمعات الإنسانية، وتكرَّر هذا المبدأ في القرآن بصور مختلفة، فالتعاون له وجوهٌ متعددة، ولا يقتصر على مجال بعينه، في كل مناحي الحياة، للوصول إلى ترابط قوي داخل الأسرة والمجتمع، يقول-ﷻ-: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ ﴾[المائدة:2]، وتؤكد الحاجة المشتركة والحقوق الممتزجة ضرورة الاجتماع والتعاون لاستمرار حياة المجتمع البشري واطّراد نظامه، فإن قيام كل واحد من أفراد المجتمع بما عليه من حقوق نحو غيره هو الذي يسد تلك الحاجة المشتركة بين الناس، وقيام الفرد بما عليه من حقوق غيره، ليست خدمته له وحده، بل هي خدمة للمجتمع كله[10]؛ فالتعاون سبب لتحقيق التقدم والرقي للمجتمع، والفرد لا يقدر على العيش دون تبادل المساعدة مع الآخرين، وفي ذلك يقول رسول الله-ﷺ-: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».[11]

فالتعاون من أقدم المفاهيم في الوجود، حيث برزت الحاجة إليه، مع بداية الوجود الإنساني، عندما وَجَد الإنسانُ نفسَه عاجزًا عن مواجهة الحياة وظروفها؛ وكل الأديان تنظر إلى التعاون باعتباره من أهم القيَّم الإنسانية، التي يقوم عليها صلاح المجتمع، واستمراره، والإسلام سبق كل الديانات في الحض على التعاون بين الأفراد والأمم، لتأمين الحياة الكريمة للمجتمع[12]، قال تعالى: ﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ ﴾[البقرة:177]، والإيمان الصحيح لا بد أن يقترن بالعمل الصالح الذي يهذب النفس، ويصحّح العلاقات الاجتماعية، ويجعلها قائمة على أساس متين من المحبة، والألفة، والمودة، والوحدة، والتعاون والتضامن والتكافل الاجتماعي.[13]

ومن أسس التعاون جمع الكلمة وتوحيد الصف، للتخلص من الشرور والأزمات والمنغصات المجتمعية، إذ كيف لأمة أو مجتمع أن يحيا سعيداً وكلمته متفرقة، وصَفّه مدخول بوشايات أهل الزيغ والنفاق، وقد نهى الله عن

الفرقة وأمر بالوحدة، ولم الشمل وتوحيد الصف، ليكون المجتمع كاللبنة الواحدة تقوي كل منهما الأخر[14]، قال تعالى:﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾[آل عمران:103] يعني بذلك جلَّ ثناؤه: وتعلَّقوا بأسباب الله جميعًا، يريد بذلك-ﷻ-وتمسَّكوا بدين الله الذي أمركم به، وعهده الذي عهده في كتابه إليكم، مِن الألفة والاجتماع على كلمة الحقّ، والتَّسليم لأمر الله[15]. فبالاجتماع يتمكَّن المسلمون مِن كلّ أمر مِن الأمور، ويحصل لهم مِن المصالح التي تتوقَّف على الائتلاف ما لا يمكن عدُّها[16] .

ثانياً- التكامل والتكافل الاجتماعي:

بَلَغَ القرآن الكريم ذروة البراعة البيانية في تصوير العلاقات الإنسانية في المجتمع، وهو يمثِّل حلقةً في سلسلة النظام الكوني، في ترابط متسق العرى قل نظيره، قائم على التناسق بين عناصر الكائنات الوجودية، تناسقاً تؤدِّي به عملها الذي تقتضيه طبيعة وجودها في مكانها من الحياة، وهذا الارتباط يحقق التوازن بين عناصر بنائه الاجتماعي، الذي ينبع منه تفكيره، وأخلاقه، وطبيعة عيشه، ومراحل أطواره الاجتماعية.[17]

وقد أومأت الآيات إلى أن عمارة الأرض لا تتحقَّق إلا بقدر من التعايش والتساكن والألفة والتكافل بين الناس، وفي دعاء نبي الله إبراهيم-عليه السلام-:﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾[إبراهيم:37]، ففي دعائه-عليه السلام- يجعل قلوب الناس تميل إلى هذا المكان، وتنجذب إليه، وتتعاطف مع ساكنيه، ليكون لهم من ذلك رزق يرزقونه من تلك الأمم التي تجيء إليهم، وبهم تلتقي، والمجيء بضمير الجماعة يشعر بأن إبراهيم لم يرد نفسه فقط، بل أراد جميع العباد[18] .

وقوله-ﷻ-: ﴿ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾ لم تحدد فيه طبقة أو فئة أو عقيدة، إشارة إلى طلب الألفة والحضور الإنساني للمساعدة في تكوين المجتمع الناشئ، والتعاون والتكافل في تعمير المدينة الجديدة، وفي الآية تصريح بأن حياة الإنسان لا تنتظم إلا في جماعة، ولا تكتمل إلا في مجتمع، حيث كانت دعوة إبراهيم-عليه السلام-أن يعمر هذا البلد بالناس، وأن تتكاثر أعداد الوافدين عليه، وذلك خير من الزرع والخصب، فحيث كان الناس كان الخير، وكان العمران. [19]

وتتسع دائرة التكافل في الإسلام لتشمل جميع البشر، يقول الله-ﷻ-:﴿ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾[المعارج:24-25] والتكافل ليس حكراً على جنس أو لون أو دين، بل يشمل كل بني الإنسان، على اختلاف مللهم واعتقاداتهم داخل المجتمع، كما تشير الآيات بالعدل والقسط معهم، في قوله-ﷻ- :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ ﴾[المائدة:8]، أي لا يحملنكم شدة بغضكم لهم، على ألا تعدلوا؛ أعدلوا أيها المؤمنون في

أوليائكم وأعدائكم، واقتصر بعضهم على الأعداء، وجاءت هذه الآية تكليفاً للمسلمين في فتح مكة، بأن لا يُكافِئوا كفار مكة بما سلف منهم وأن يعدلوا في القول والفعل..[20]ولذلك فإن التكافل الاجتماعي من أعظم مقومات الحياة الاجتماعية الكريمة، ولا تكتمل سعادة المجتمع وبناء نهضته وحضارته إلا به، بل هو الأساس في حياة المجتمعات وبقائها عزيزة بهيبتها، قائمة بواجباتها[21].

والتكافل الاجتماعي من أعظم سمات المجتمع، وأبرز لوازمه، حيث يشعر جميع الأفراد بمسؤولية بعضهم عن بعض، وأن كل واحد منهم حامل تبعات أخيه، وأنه كما يسأل عن نفسه، يسأل عن غيره[22] ، كما تُنظِّم آيات القرآن الكريم الأساس النظري لتكافل والتكامل، في قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ ﴾[النساء:36]. وتؤكِّد السنة النبوية أهمية التكافل، فقد سُئل رسول الله – ﷺ– أي الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال: «أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله تعالى سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخي في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد – يعني مسجد المدينة شهراً – ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه، ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يتهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام»[23]، وهذا يؤكِّد أهمية الشراكة والتكامل الاجتماعي.

ثالثاً– التعايش الاجتماعي:

جاء الإسلام سلاماً للإنسانية، ليقدِّم نفسه بوصفه عقيدة وشريعة؛ إذ يحمل في طياته أعلى معاني الإنسانية، وذلك في إطار تنظيم اجتماعي، تُبلور هذه العلاقات عبر سائر المراحل التاريخية؛ وقد كان الإسلام سبّاقاً إلى تحقيق فكرة التعايش والمساواة بين الشعوب والأجناس والأديان[24]، سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات، يقول-ﷻ-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾[الحجرات:13]؛ حيث تنظِّم العلاقة على أساس المساواة، في الحقوق الإنسانية الثابتة من اتحاد الأصل، وتقتضي المساواة العدالة، ولا يرهق جنس بظلم، أو أذى أو مضايقة أو استعباد، فالمساواة أساس التعارف، كما أن التعارف يقتضي المودَّة والتعاون والتعايش في كل أمور الحياة[25].

ومبدأ المساواة في الإسلام لا يوجد له مثيل، في أيٍ من المبادئ الأخرى، كما أن المساواة الإسلامية تغاير تماماً الأديان الأخرى التي تجعل للسود أماكن مستقلة للعبادة، أما في الإسلام فالناس جميعا سواسية كأسنان المشط.. وهم يقفون كتفا إلى كتف صفاً واحداً، بين يدي الله-ﷻ- في المسجد أو العمل.. ويعبدون رباً واحداً لا شريك له[26]، والإسلام يحتم المساواة والعدالة والإحسان

إلى الناس، حتى وإن كانوا غير مسلمين بوصف ذلك مبدأ من مبادئ القرآن، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾[النحل:90]، والنبي -ﷺ- يؤكد أن الناس سواسية قائلاً: « أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد إلا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى. [27] »

وهذا المناخ الديني المتسامح، لم يكن اعترافه بالتعددية الدينية وقبولها إلا على أساس من قاعدة الاختلاف الطبيعي بين البشر، كونه يمثل ظاهرة طبيعية[28] ، وفي هذا يقول -ﷻ-:﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ ﴾[هود:118-119]. فكان الاختلاف بين البشر سبباً من أسباب اجتماعهم، وتعارفهم وتبادلهم للمعارف والخبرات ويقول -ﷻ-:﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ ﴾[هود:61]، وعمارة الأرض تقتضي إعمال تنظم حركة المجتمع، وتقوم على توزيع الطاقات الفاعلة، ولم يجعل الله من إنسان واحد مجمع المواهب، وإرادة الله-ﷻ-أن يتكامل العالم ويتعايش؛ فالتعايش يوحي بالاندماج، وهذا اللون من التكامل والالتحام ليس التحام تفضل، إنما هو التحام تعايش ضروري [29]، وتوجيهات القرآن الكريم تمثِّل أصولاً أساسيةً ثابتةً، تمكِّن البشرية من التعايش والبناء، والاهتداء بها في كل تنظيماتهم.[30]

رابعاً- مبادئ تحقيق المساواة والتعايش:

إن قضية المساواة والتعايش مرتبطة بمظاهر الحياة والاجتماع البشري؛ وقد شرع الله القيم والمبادئ المنظمة لشؤون المجتمع الإسلامي، لتحقيق المساواة والتعايش الإنساني، ونظم علاقات الأفراد فيما بينهم، سواء العلاقات بين المسلمين أنفسهم، أو العلاقات بينهم وبين غيرهم من الأديان الأخرى .[31]

وتلك المبادئ تزيد مساحة التعاون والتعايش بين المواطنين الذين يعيشون في دولة واحدة أو في وطن واحد، والقرآن يدعونا للعدل والمساواة، قال -ﷻ-:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ ﴾[المائدة:8] وهذه دعوة صريحة ومبدأ واضح للتعايش وإقامة العدل مع الناس جميعا؛ فالعدل هو الأقرب للتقوى، ولا يجوز العدول عن الحق لمجرد الخلاف في الحرب أو العقيدة والدين.[32]

والقرآن الكريم لا يقيم العلاقات الاجتماعية على أساس التعصُّب العنصري، أو الطائفي أو الديني المغلق, فالتنوُّع الاجتماعي بمختلف أشكاله، يعطي رونقاً وشكلاً مجتمعياً جميلاً، يساعد على مزج وترابط العلاقات بين مكونات المجتمع؛ العرقية، والدينية، والمذهبية، والطائفية، التي تجمعها المصالح المشتركة، والتعايش الاجتماعي[33]. وهذه الألوان تتناسق لتعطي أجمل مظهر للمجتمع؛ في تكافل أفراده وتعاونهم وانسجامهم في المجتمع؛ (حُكَاماً ومحكومين) في

شعور بأنه يحيا في ظل عدالة اجتماعية، لم يسبق لها مثيل في تاريخ الإنسانية [34]

ولعل نظرة واحدة لأول دستور، في أول دولة مدنية قامت بعد الهجرة، وهو يقدم لنا القوانين التي تضمن تحقق التعايش بين المسلمين واليهود، والقبائل التي لم تعتنق الإسلام، وتطوُّرت جوانب هذا التعايش؛ مع قيام الدولة الإسلامية التي ضمَّت شعوباً وأمما مختلفة، حقَّقت بينها الانسجام والعدل والمساواة، بعيداً عن الفوارق والعصبية والعرقية أو الاستعلاء الديني .[35] وهنا ويقول-ﷻ-:﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[الممتحنة:8]، بشرط سلامة الباطن، وعدم الولاء والميل أو تسريب المعلومات إليهم، وإنما في إطار العلاقات.[36]

وقد جاء الإسلام لهدم القيم والمعتقدات الفاسدة، وأقرَّ وحدة النوع البشري وكرامته، والعدل والمساواة في أنحاء الكون، والنبي-ﷺ-يشير إلى عدد من المبادئ المجتمعية، فقد جاء رجل إلى النبي -ﷺ- فقال: «أنت سيد قريش فقال النبي-ﷺ-السيد الله،...الخ»[37] . ويروي جرير-رضي الله عنه-: أنه أتى النبي-ﷺ-رجل ترعد فرائصه، فقال له-ﷺ-:« هوَن عليك فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد[38] في هذه البطحاء»[39] وقال رسول الله-ﷺ-في سلمان الفارسي: «سلمان منا أهل البيت» [40]، وعن أبي برزة-رضي الله عنه-: «أن رسول الله-ﷺكان في مغزى له فلما فرغ من القتال قال هل تفقدون من أحد، قال فقالوا: يا رسول الله، نفقد فلانا وفلاناً، فقال رسول الله لكن افقد جليبيبا فالتمسوه» .[41]

المطلب الثالث: التطبيق العملي للمفاهيم الفكرية والنظرية.

إن وضوح المفهوم، خطوة أساسية لسلامة الحركة العملية، فمن لا يستحضر المفهوم الصحيح حول مفردات الحياة المختلفة، فإنه سيخفق كثيراً في مقام العمل، وهنا أكّد الإسلام على المعرفة النظرية التي لو اقترنت بالتطبيق، لتحقق النجاح في الحياة[42]، يقول-ﷻ-:﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:29]

والقوانين القرآنية تقرر أن التغيير إلى الأفضل، أو الأسوأ والتحول من طور إلى طور لا يحدث **إلا إذا سبقه وعي فكري بمفاهيم معينة** [43]، يلحقه تغيير جماعي تقوم الأمة **بممارسته سلوكياً**، في واقع الحياة[44]. كما في قوله-ﷻ-: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ **حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟** مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[الرعد:11]، وقوله-ﷻ-: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[الأنفال:53] ، وقوله-ﷻ-: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾[البقرة:251]، وقوله-ﷻ-:﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:52].

وبالجملة فإن أول خطوات تحقيق النهضة، واستعادة الأمة لعافيتها، يقوم على الوعي، والوعي

لا يتحصل إلا بالمنهجية، وهذا يشكل المدخل العملي للرقي المجتمعي والحضاري، والسعي إلى الانتقال من مرحلة الى أخرى، **والقدرة على التمييز بين عملية بناء الأطر والمفاهيم، وتطبيقها**، قال تعالى:﴿فَأَوْحَيْنا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنا وَوَحْيِنا﴾[المؤمنون:27] أي "فأوحينا", إليك (نأمرك) بأن تصنع السفينة، ونعلمك كيف تصنعها[45]. وشاء الله بعلمه وقدرته، رعاية نوح-عليه السلام-، فقام نوح بصنع الفلك، **فاستحق الوصول**، فالقاعدون عن بذل الأسباب لا يستحقون الوصول[46].

ففي شعائر العبادة من أسرار الزكاء النفسي والنقاء الروحي والنماء المجتمعي، قوة تستطيع أن تنقل الإنسان والمجتمع الى المستوى الرفيع، **وأن** تخطو به الى عالم المُثل والقيم العالية، والكمال الإنساني الذي يجعل الفرد مثاراً للإعجاب، ما يفوق تصور أصحاب المدن الفاضلة، والمذاهب الأخلاقية، كون مفاهيم القرآن شاملة لجميع جوانب الحياة[47]، لقوله-عز وجل-:﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[العنكبوت:45]، وقوله-جل جلاله-:﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[التوبة:103]، فالذي وضع ذلك المنهج هو: الإله العليم بالنفوس وخباياها، وكيف تستغل سجاياها، وتحلق في سماء العظمة الإنسانية [48].

وتشير التحولات الاجتماعية نحو مخرجاتها، والانتقال من حال إلى حال، سواءً في الاتجاه الإيجابي أو الاتجاه السلبي، قال تعالى:﴿**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً**﴾[الإنسان:3]، فأول مقتضيات الوعي ومقدماته، إمكانية المجتمع تحديد الطريق الصحيح في الحياة، وسلوك طريق النور، أو التيه في مهاوي الردى[49].

وبالفهم الواعي والسلوك القويم، تحولت صورة ذلك الواقع الاجتماعي المتخلف، وتغيرت صورة المجتمع عما كان عليه، وتبدلت الأحوال، وتطورت أوضاعه نحو الأفضل في كل جوانب حياته وظروفها وتقلباتها، بفعل عملية التغيير أو الثورة التي أحدثتها في هذا المجتمع، فأزال الرسول-ﷺ- الجوانب السلبية، حتى وصل الأمر به مع أصحابه وتابعيه إلى ذروة الرقى الحضاري، فصار مفخرة الإنسانية على مر العصور، إلى درجة أنك لن تستطيع رؤية مثل ذلك المجتمع فيمن حوله من الأمم والشعوب، أو من يأتي بعده، إلا مجتمع ينهج ذلك النهج، ويقتفي ذلك الأثر[50]. ولذلك فإن أهم نتيجة يمكن استنباطها؛ هي تأثير القرآن العظيم في الأمم التي أذعنت لأحكامه، ولا تجد دينًا اتفق له ما اتفق للإسلام من الأثر الدائم للقرآن الكريم، في أدقّ شؤون الحياة"[51].

المطلب الرابع: الكشف عن المشكلات المجتمعية ومعالجتها

لقد جاء القرآن الكريم لهداية الإنسانية، والتشريع لها؛ لتعيش حياة كريمة، قبل الاصطدام بأي عقبات أو مشكلات طارئة، أو تحديات تحول دون

الاستخلاف الطبيعي على الأرض، فكان القرآن الكريم هو الرؤية الإلهية التي جاءت لتنظيم شؤون الحياة، والإرشاد إلى البناء الاجتماعي السليم، وحمايته من التصدع والانهيار[52].

وأبرز المشكلات التي تواجهها شريحة كبيرة من الناس، " الفقر والمعاناة وزيادة الحاجة، وتدهور الأوضاع وتفاقم المشاكل، وضعف الوعي بمسبباته، وضعف قدرات الأفراد على سد حاجاتهم بأنفسهم، وافتقارهم إلى معونة الأخرين"[53].

وكل مصاب ينزل بالإنسان في الحياة، أو تحيط به كارثة، أو يواجه خطراً فإن ذلك، ناتج عن مخالفة لله-ﷻ- فيما وضع من القوانين والشرائع، والموجهات، الكفيلة بحماية الإنسان؛ وأعظم دلالة أن تعطل القوانين ويتوقف مفعولها في الحياة، فيُحرم الإنسان الحياة الكريمة، والسلام المجتمعي[54]، كما قال-ﷻ-:﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾[الشورى:30]، وهنا إشارة إلى مسؤولية المجتمع عموماً في تحمل ما يحدث من انتكاسات وصعوبات، في حياة الأفراد والجماعات على حد سواء.

الفرع الأول: تشخيص مشكلات المجتمع.

إن كثيراً من الأفراد والجماعات- رغم المعاناة وشدة الاحتياج- يترفعون عن المسألة حفظاً للكرامة؛ لكن الناظر إليهم يدرك بسهولة تلك المعاناة والحاجة واضحة في ملامح وجوههم، فتلحظ فيهم خشوعاً وانكساراً ورثاثة هيئة، ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ﴾[55]، فهذه سمات وعلامات، تلفت الانتباه وتكشف حالتهم، التي تستحق لفت النظر إليهم، وإن لم يسألوا أو يطلبوا، يقول-ﷻ-: ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَاسَ إِلْحَافاً﴾[البقرة:273]، واكتشاف تلك العلامات هي إحدى الصور التي تشخص حاجة المجتمعات للدعم والمساندة؛ حتى ولو من سماع السؤال؛ لأن التعفف لا يعني ترك المسألة، وإنما عدم الإلحاح بها، فالله-ﷻ- يقول: ﴿لاَ يَسْأَلُونَ الناس إِلْحَافاً﴾، فكأنه أباح التعريض بالسؤال، دون الإلحاح والإلحاف فيه[56].

والقرآن الكريم يؤكد وجوب تفقد أحوال المجتمع، وتشخيص مشكلاته، وخصوصاً من حالت بهم الظروف، دون وصولهم لحاجتهم، قال تعالى:﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[البقرة: 273]، والآية تصف الذين **أُحصروا** فلا يستطيعون الضرب في الأرض، وحالت الظروف دون حصولهم على حاجتهم[57].

فهناك من حُصِرَ عن الضرب في الأرض لمرض، أو الحصار في رزق، ناشئ لأمر خارج عن إرادتهم،﴿لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأرض﴾، أو صعوبة في الحصول على العمل، لعارض قيدهم عنه، أو حرمان من حقوق أساسية للفرد، ومن حُصر لعارض اجتماعي أو سياسي أو عقدي، أو مُنع بسبب فعل الغير، وتضييق منافذ الحياة. وقد تعددت أوجه الحصار اليوم؛ سواء

تحت القصف، أو في مخيمات لجوء، أو حصار اقتصادي وفئوي، داخلي أو خارجي، وقد لا يدرك المجتمع ما يعيش هؤلاء من عناء، وحالهم كما وصفهم قول الله:-ﷻ- ﴿يَحْسَبُهُمُ الجاهل أَغْنِيَآءَ مِنَ التعفف﴾، بحيث يظنهم الجاهل، ومن لم يختبر حالهم أنهم أغنياء، كونهم متعفِّفين عن المسألة، وإظهار المسكنة .(58)

وهناك قضية خطيرة، يقع فيها كثير من المجتمعات، ويكون سبباً في تعاظم المشاكل، ووجود النكسات المجتمعية وهي: كره شيء مما أنزل الله أو بغض شيء مما جاء به الإسلام على حساب ما يعرف بالعادة والعرف والتقليد! وهؤلاء يقول الله فيهم: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[محمد:9].(59)

الفرع الثاني: آثار التحديات المجتمعية وكيفية مواجهتها.

إن الإشارات القرآنية الناهية عن تعطيل الأحكام بالمفاسد الأخلاقية وسيء الأفعال، كثيرة وجلها تحذر من الآثار الناجمة عن هذا التعطيل لتلك الأحكام، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ناراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾[النساء:10]، وقوله-ﷻ-: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الروم:41]، وقوله-ﷻ-: ﴿ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسى بِآياتِنا إِلى فِرْعَوْنَ وَمَلائِهِ فَظَلَمُوا بِها فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[الأعراف:103]، وقوله-ﷻ-: ﴿فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الطُّوفانَ وَالْجَرادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفادِعَ وَالدَّمَ آياتٍ مُفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ﴾[الأعراف:133]، وقوله-ﷻ-: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَواتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[مريم:59]، وهذه من الآفات التي تعكر صفو المجتمع، وتنفث فيه الخلل والانحلال والتفكك والانحراف، وتفاقم المخاطر والمهددات التي تلحق بالمجتمع والبيئة(60)، فالنتيجة من جنس العمل، قال-ﷻ-: ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ (11) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسادَ (12) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذابٍ (13) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصادِ﴾[الفجر:11-14].

وتعطيل الأحكام سبب جوهري من أسباب الدمار والهلاك، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيدِي النَّاسِ﴾[الروم:41]، وبهذا التعدي والغطرسة، يزيل الله، ما بالمجتمع من نعمة وعافية، لاستحلال الظلم والفساد والمعاصي(61)، قال-ﷻ-: ﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْناهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَواتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (16) ذلِكَ جَزَيْناهُمْ بِما كَفَرُوا وَهَلْ نُجازِي إِلاَّ الْكَفُورَ ﴾[سبأ:16-17].

وفي المقابل فإن المستجيبين لأمره وطاعته، المنتهين عما نهى الله عنه، والذين يحترمون اللوائح والتشريعات، يهيئ الله-ﷻ-لهم أسباب التمكين في الأرض (62). يقول-ﷻ-: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ

الصَّـالِحُونَ﴾[الأنبياء:105]. وقـد أثنـى الله علـى الـذين يسعون في الأرض، لتفقد المنقطعين والمحصورين والمحتاجين، وتقديم الحلول والمقترحات المناسبة، مشيراً إلى علمه بما ينفقون في سبيله [63]، يقول-ﷻ-: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْـهِ اللَّـهِ وَمَـا تُنفِقُـوا مِـنْ خَيْـرٍ يُـوَفَّ إِلَـيْكُمْ﴾[البقرة:272]، والمستفيد الأول من عمل الخير، هو الإنسان نفسه، وأما التساهل عن دفع المشكلات والمخاطر المجتمعية، فإن ذلك سيشكل خطراً على بقية أفراد المجتمع، إن لم يُقض عليها في مهدها[64]، ولذلك يدعو الله عباده للاستجابة، وعدم التولي، لدفع كل خطر قد يحدق بالمجتمع في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[النور:54] ويقول-ﷻ-:﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور:63]، وحين تصبح الفتنة أمرا حتميا والخطر واقعاً لا محالة فلا بد من عمل حد لهد الخطر بالنفير لحماية المجتمع، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾[الأنفال:65].

ونبـي الله موسـى-عليه السلام- لمـا ورد مـاء مـدين، وجد مشكلة مجتمعية ناتجة عن عدم القدرة على الوصول للمورد، فقد وجد جماعة من الناس يسقون أغنامهم، ووجد من دونهم امرأتين تذودان "حابستين الغنم لتسقي"، ولما أدرك معاناتهما في الحصول على المورد، لم يصمت أو يبرر أن هذا ليس اختصاصه، أو أنه في مجتمع غير معروف، وإنما قال لهما: ما خطبكما!! قالتا: لا نسقي حتى يصدر الرعاء بالغنم، فنسقي فضلتهم، فانطلقا به إلى الماء فرفع موسى-عليه السلام- الحجر بيده، وسقى لهما الغنم حتى رويت ثم انصرف [65].

المطلب الخامس: الالتزام الجمعي بالضوابط واللوائح والقوانين.

لم يُترك الإنسان في ساحة البناء، والعطاء منفرداً، أو تائهاً في صحاري الفكر والهوى، كما لم يُهمل في سفره الطويل من الدنيا إلى الآخرة بلا زاد وعتاد [66]، وقد جعل الله لكل أمة منهاجاً بيناً واضحاً للسير على بصيرة، قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾[المائدة:48]، وقد حُكمت تصرفات الإنسان في الوجود، صعوداً، وهبوطاً، بالسنن الإلهية التي تتعلق بصيرورة الحياة الاجتماعية، وسنن الله في هذا **الكون** وهذا **الإنسان** وحياته، من جانب، وتدبر **النظام الاجتماعي وترابطه من جانب آخر** [67]. وفي هذا التشريع المُتقن، والنظام المحكم، يقول-ﷻ-: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[الشورى:13].

وحين نزل القرآن على خاتم المرسلين-ﷺ- لم يلبث حتى توجه بهذه اللوائح والقوانين والتشريعات الإلهية، نحو أمة الصحراء قليلة العدد متفرقة

الكلمة، ليصوغ أفكارهم وحياتهم صياغةً جديدة، استجابة لنداء المولى-ﷻ-:﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾[المدثر:2]، وقوله-ﷻ-:﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[المائدة:67]، فقام بالبلاغ، العقدي والتشريعي، والاجتماعي، فغير كثيراً من مفاهيم تلك الأمة، وطبائعها، ومُثُلها، وقيمها، وعاداتها، وتطلعاتها [68]، قال تعالى: ﴿قُلْ هذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحانَ اللَّهِ وَما أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[يوسف:108], وقد واجه الرسول-ﷺ- صعوبات جمّة في إرساء الضوابط والقوانين والموجهات الربانية في المجتمع؛ لأنهم رغبوا بالإسلام، ولم يفقهوا درس العدل والمساواة والنظام والقانون، الذي جاء به هذا المنهج [69]. فالإسلام لم يكن مجرد كلمات، أو شعائر تعبدية، مفرغة من محتواها، بل منهاج حياة، ودستور أمه، يقول-ﷻ-:﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الأنعام:162]، وليس الهدف من التشريع مجرد إظهار العبودية لله-ﷻ- فحسب، إنما هو السبيل الوحيد، لبلوغ الإنسان غايته في الحياة، وحفظ الحقوق والعلاقات، وتقوية النسيج الاجتماعي والعيش المشترك، وتحقيق السعادة في الدنيا والآخرة، حتى لا تفسد الحياة، ويتعذر العيش[70].

وقد جاءت هذه اللوائح والنظم للإنسانية كلها، حتى لأنبيائه ورسله، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾[الزخرف:44]، فالرسول-ﷺ- قد أعلن على الملأ بأنه عوتب، وبأنه وجُه التوجيه الذي يُنشد منه، ألا يخشى أحداً سوى الله، وألا يؤثر الوقوف في منتصف الطريق، فسار في جو المدرسة الإلهية على وفق التوجيهات، التي لا تفتأ تضع أمامه المؤشرات والإشارات الدالة على أن في الطريق منعرجات ومخاطر، فالحذر منها واجب، والاحتياط مطلوب[71]، كما أبان القرآن الكريم أن, مكانة الرسول-ﷺ-ليست بديلاً عن التشريع، يقول-ﷻ-: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾[الكهف:110]، ولكونه بشراً يسجل عليه القرآن مواقف تأثر فيها ببشريته، في قوله -ﷻ-: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ﴾ [الأنفال:67]، و يقول-ﷻ-:﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضاتَ أَزْواجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[المجادلة:1-2].

وقد اعتنى النبي-ﷺ-بغرس تعاليم القرآن وما تضمنته، من نظم وقوانين وتعاليم وموجهات، في عقول ونفوس أصحابه، فكانت الاستجابة صادقة، ونال ذلك الجيل الخلود مدى الدهر، وحقق البناء والتماسك الإنساني والاجتماعي والنفسي، وحرص النبي-ﷺ- على التأكيد على تلك القيم والضوابط في كل حياته، وقبل أن يبعث معاذاً إلى اليمن، حدّد له ما يجب أن تكون عليه شخصيته، فعن معاذ بن جبل-رضي الله عنه- قال: أن رسول الله-ﷺ-«... أخذ بيدي ثم مضى معي فقال: «يا معاذ، إني أوصيك بتقوى الله، وصدق الحديث، ووفاءً بالعهد، وأداء الأمانة، وترك الخيانة، ورحمة اليتيم، وحفظ

الجار، وكظم الغيظ، وخفض الجناح، وبذل السلام، ولين الكلام، ولزوم الإيمان، والتفقه في القرآن، وحب الآخرة، والجزع من الحساب، وقصر الأمل، وحسن العمل؛ وأنهاك أن تشتم مسلما، أو تكذب صادقا، أو تصدق كاذبا، أو تعصي إماما عادلا»[72].

وقد أوصاهُ كما أوصى غيرهُ من رُسِل العقيدة والبناء الإنساني، بكل معاني تربية النفس، ومعالم تهذيبها، والارتقاء بها، في جانبيها الفكري والعملي، وبما يضمن تفعيل تلك اللوائح والقوانين والضوابط والموجهات، الكفيلة بحفظ العلاقات وتقوية الروابط والنسيج الاجتماعي، وإرساء مبادئ الأمن والسلم في المجتمعات وهنا يقول-ﷻ-: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾[النساء:131]، أي: ليعلموا أنه لم يأمرهم بذلك لحاجة له في عبادتهم، ولم يأمر لمنفعة نفسه؛ ولكن ليعلموا إنما أمرهم بذلك لحاجتهم لذلك، ولمنفعة أنفسهم؛ فإنه-ﷻ-كان وما يزال:﴿غَنِيًّا حَمِيدًا﴾، أي: غنيا عن خلقه في الأزل، حميدا في فعله، في إتقانه وإحكامه، وإحسانه إلى خلقه، وإنعامه عليهم، فله ما في السموات والأرض[73].

الهوامش:

(1) ينظر: في ظلال القرآن- ج2- ص/932- بتصرف

(2) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة-ج2-0 ص/541.

(3) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج- ج1- ص/7.

(4) ينظر: التفسير الوسيط للزحيلي- ج3- ص/2016.

(5) ينظر: العلاقات العامة في الخدمة الاجتماعية- ص/6- بتصرف.

(6) التفسير القرآني للقرآن- ج5- ص/751.

(7) التفسير الحديث- ج1- ص/563.

(8) ينظر: التفسير الوسيط للزحيلي- ج1- ص/576- بتصرف.

(9) جمال القراء وكمال الإقراء- ص/400 .

(10) تفسير ابن باديس- ص/78.

(11) أخرجه مسلم- ج4- ص/1999- برقم/2586- وأخرجه أحمد- ج4- ص/270- برقم/18404- وفي جامع الأحاديث-ج19-ص/387، وصححه الألباني في صحيح الجامع- برقم/5849-ج2-ص/1018.

(12) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي- ص/157.

(13) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج- ج2- ص/97.

(14) ينظر: في ظلال القرآن-ج3-ص/1219- بتصرف.

(15) جامع البيان في تأويل القرآن- ج7- ص/70.

(16) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان- ص/141.

(17) ينظر: وظيفة الصورة الفنية في القرآن- ص/161.

(18) ينظر: فتح القدير-ج3-ص/135.

(19) ينظر: التفسير القرآني للقرآن-ج7- ص/193 - بتصرف

(20) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم- ج6- ص/83.

(21) أسس النظام الاجتماعي في الإسلام- ص/191.

(22) أسس النظام الاجتماعي في الإسلام- ص/193.

(23) المعجم الكبير-ج12- ص/453- برقم/13646- وحسّنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته- ج1- ص/97- برقم/175.

(24) ينظر: الرسول في الدراسات الاستشراقية- ص/195- بتصرف.

(25) ينظر: المعجزة الكبرى القرآن- ص/309.

(26) ينظر: النسخ عند الفخر الرازي- ص/39- بتصرف.

(27) مسند الإمام أحمد-ج5- ص/411 برقم/23536- تعليق شعيب الأرنؤوط- إسناده صحيح.

(28) ينظر: التفسير القرآني للقرآن- ج6-ص/1218.

(29) تفسير الشعراوي – الخواطر- ج2- ص/1143.

(30) الدولة ونظام الحكم في الإسلام- ص/7.

(31) ينظر: في ظلال القرآن- ج3- ص/1258.

(32) ينظر: التحرير والتنوير- ج25- ص/62.

(33) ينظر: دور وسائل الإعلام في إدارة التنوع الثقافي والاجتماعي (دراسة حالة) – ص/458.

(34) منهج القرآن في تربية المجتمع-ص/671.

(35) ينظر: الرسول في الدراسات الاستشراقية- ص/195.

(36) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن-ج8- ص/90-91- بتصرف.

(37) مسند أحمد-ج26- ص/234- برقم/ 16307- إسناده صحيح على شرط مسلم-من حديث مطرف.

(38) هو زاد يشوى على النار ويجعل في وعاء بإهالته- وهو زاد المسافر [تاج العروس: مادة/قدد]

(39) المستدرك على الصحيحين-ج2-ص/506-برقم/ 3733-صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه-وصححه الألباني، صحيح الجامع-ج2-ص/1185-برقم/7052.

(40) المعجم الكبير- ج6- ص/212-برقم/ 6040- وفي المستدرك على الصحيحين- ج3- ص/691- برقم/6539 .

(41) مسند أحمد-ج 33 – ص/22- برقم/19778.

(42) ينظر: المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة: أحمد عمر أبو شوفة- ط. دار الكتب الوطنية- ليبيا- 2003م- ص/75

(43) زهرة التفاسير- ج2- ص/910- مرجع سابق.

(44) ينظر: مجلة البيان: العدد22- مكتبة شبكة مشكاة الإسلامية- ربيع الأول 1410هـ- أكتوبر 1989م- عن مقال بعنوان: قائد وأمة- د. محمد محمد بدري- ص/51- بتصرف.

(45) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل- ج3- ص/183- مرجع سابق.

(46) ينظر: في ظلال القرآن- ج4- ص/2465- مرجع سابق- بتصرف.

(47) ينظر: روائع البيان تفسير آيات الأحكام – ج2- ص/218- مرجع سابق.

(48) منهج القرآن في بناء المجتمع: محمود شلتوت- وزارة الأوقاف- ط. 1375هـ – ص/129.

(49) ينظر: في ظلال القرآني- ج1 ص/3780- مرجع سابق- بتصرف.

(50) ينظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: السيد أبو الحسن علي الحسني الهندي الندوي- ط13-المكتبة التوفيقية- القاهرة- د.ت-ص/108- بتصرف.

(51) حضارة العرب: غوستاف لوبون- ترجمة: عادل زعيتر- ط. مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة-مصر- 2012م- ص/445- غوستاف لوبون Dr. G. Lebon , ولد عام 1841م، وهو طبيب، ومؤرخ فرنسي، عني بالحضارات الشرقية. من آثاره:(حضارة العرب)- (باريس1884)، (الحضارة المصرية)، =و(حضارة العرب في الأندلس).

(52) التحرير والتنوير- ج1-ص/50 مرجع سابق- بتصرف.

(53) المجتمع المثالي في الفكر الفلسفي وموقف الإسلام منه- ص/98- مرجع سابق.

(54) ينظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير- ج4- ص/612- مرجع سابق.

(55) تفسير الشعراوي -ج2- ص/1179- مرجع سابق.

(56) تفسير الماتريدي-ج2- ص/267- مرجع سابق.

[57] ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى:542هـ)- تحقيق: عبد السلام عبد الشافي ط1-دار الكتب العلمية – بيروت- 1422هـ- ج1- ص/361.

[58] فتحُ البيان في مقاصد القرآن- ج1- ص/135.

[59] لباب التأويل في معاني التنزيل -ج4- ص/148.

[60] قبس قرآني على المجتمع- القرآن وعلم الاجتماع: محمد أحمد درنيقة- ط1-دار الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع- طرابلس- لبنان- 1991م- ص/118.

[61] التفسير المنير للزحيلي- ج13- ص/ 124- مرجع سابق.

[62] جامع البيان في تأويل القرآن- ج18- ص/549- مرجع سابق.

[63] ينظر: بيان المعاني- ج5- ص/405- مرجع سابق.

[64] ينظر: زهرة التفاسير- ج5- ص/ 2758- مرجع سابق.

[65] تفسير مقاتل بن سليمان- ج3- ص/341 – مرجع سابق.

[66] مقومات الحضارة – ص/29- مرجع سابق.

[67] سنن الله في المجتمع من خلال القرآن: محمد الصادق عرجون- ط3-الدار السعودية للنشر والتوزيع- جده- 1984م- ص/ 5.

[68] ينظر أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية: أحمد علي الملا- ط2-دار الفكر- دمشق- 1401هـ- 1981م- ص/ 47- بتصرف.

[69] مقومات الحضارة وعوامل أفولها- ص/47-مرجع سابق.

[70] منهج القرآن في التربية: محمد شديد- ط. مؤسسة الرسالة – بيروت – 1994م- ص/214- 215.

[71] القرآن أصل التربية وعلم النفس: أحمد جهان الفورتيه- ط. دار الملتقى للطباعة والنشر- ليماسول – قبرص- 1994م- ص/81.

[72] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء-ج1-ص/240- مرجع سابق.

المراجع:

1. القرآن الكريم.
2. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى:261هـ)- حققه: محمد فؤاد عبد الباقي- دار إحياء التراث العربي- بيروت.
3. الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى:256هـ)- تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي- دار البشائر الإسلامية- بيروت- ط3- 1409هـ- 1989م.
4. المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ)- تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا- دار الكتب العلمية – بيروت- ط1- 1411هـ- 1990م.
5. الجامع المسند الصحيح المختصر= صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي-(المتوفى:256هـ)- حققه: الدكتور. مصطفى ديب البغا- دار ابن كثير- اليمامة – بيروت – ط3-1407هـ- 1987م.
6. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد

الشيباني (المتوفى:241هـ)- تحقيق: شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد، وآخرون- مؤسسة الرسالة- ط1- 1421هـ - 2001م.

7. جامع الأحاديث: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى:911هـ)- فريق من الباحثين بإشراف د على جمعة (مفتي الديار المصرية).
8. صحيح الجامع الصغير وزياداته: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى:1420هـ)- ط. 1769- المكتب الإسلامي.
9. زهرة التفاسير: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: 1394هـ)- دار الفكر العربي- بيروت.
10. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى:1393هـ)- ط. 1415هـ- 1995مـ- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت- لبنان.
11. تفسير ابن باديس((في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)): عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (المتوفى:1359هـ)- علق عليه وخرج آياته وأحاديثه: أحمد شمس الدين- ط1-1416هـ - 1995م- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.
12. التفسير الحديث: دروزة محمد عزت- ط1- 1383هـ- دار إحياء الكتب العربية – القاهرة.
13. تفسير الشعراوي – الخواطر: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ)- ط. 1997م- مطابع أخبار اليوم.
14. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى:1354هـ)- ط. 1990م- الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة.
15. التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد 1390هـ) – ط.1970م- دار الفكر العربي – القاهرة.
16. تفسير الماتريدي(تأويلات أهل السنة): محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى:333هـ)- تحقيق: د. مجدي باسلوم- ط1- 1426هـ- 2005م – دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.
17. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د وهبة بن مصطفى الزحيلي- ط2- 1418هـ- دار الفكر المعاصر- دمشق.
18. التفسير الوسيط للزحيلي: د وهبة بن مصطفى الزحيلي- ط1 - 1422هـ -دار الفكر- دمشق.
19. تفسير مقاتل بن سليمان: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (المتوفى:150هـ)- تحقيق: عبد الله محمود

شحاته- ط1- 1423 هـ- دار إحياء التراث- بيروت.
20. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى:1376هـ)- تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق- ط1- 1420هـ - 2000م- مؤسسة الرسالة- بيروت.
21. جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري-(المتوفى 310 هـ)- حققه : أحمد محمد شاكر- ط. 1420هـ- 2000م- مؤسسة الرسالة- بيروت.
22. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى:542هـ)- تحقيق: عبد السلام عبدالشافي - ط1 - 1422 هـ- دار الكتب العلمية - بيروت.
23. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى:538هـ)- ط3- 1407هـ- دار الكتاب العربي- بيروت.
24. لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى:741هـ)- تصحيح: محمد علي شاهي- ط1- 1415هـ- دار الكتب العلمية- بيروت.
25. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي- ط3- 1423هـ- 2003م- دار عمار للنشر والتوزيع-عمان- الأردن.
26. النسخ عند الفخر الرازي: محمود محمد الحنطور- ط1- 2002م- مكتبة الآداب- القاهرة.
27. وظيفة الصورة الفنية في القرآن: عبد السلام أحمد الراغب- ط1- 1422هـ- 2001م- فصلت للدراسات والترجمة والنشر- حلب.
28. جمال القراء وكمال الإقراء: علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبو الحسن، علم الدين السخاوي (المتوفى:643هـ)- تحقيق: عبد الحق القاضي- ط1- 1419هـ - 1999م- مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت.
29. روائع البيان تفسير آيات الأحكام: محمد علي الصابوني- مكتبة الغزالي- دمشق- ط3- 1400هـ- 1980م- مؤسسة مناهل العرفان- بيروت.
30. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى:1270هـ)- تحقيق: علي عبد الباري عطية- ط1- 1415هـ - دار الكتب العلمية - بيروت.

31. الأساس في التفسير: سعيد حوّى (المتوفى:1409هـ)-ط6- 1424هـ- دار السلام- القاهرة.
32. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري- ط5- 1424هـ-2003م- مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة- السعودية.
33. بيان المعاني: عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (المتوفى:1398هـ)-ط1-1382هـ- 1965م-
مطبعة الترقي- دمشق.
34. التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)- ط. 1984هـ- الدار التونسية للنشر- تونس.
35. فتحُ البيان في مقاصد القرآن: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى:1307هـ) قدم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري- ط1. 1412هـ- 1992م- المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر- صَيدَا - بَيروت.
36. فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى:1250هـ) -ط1- 1414هـ - دار ابن كثير- دار الكلم الطيب-دمشق- بيروت.
37. في ظلال القرآن- سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى:1385هـ) - ط/17 - 1412هـ- دار الشروق - بيروت- القاهرة.
38. مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم- ط4- 1426هـ- 2005م- دار القلم- دمشق.
39. قبس قرآني على المجتمع- القرآن وعلم الاجتماع: محمد أحمد درنيقة- ط1- 1991م- دار الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع- طرابلس- لبنان.
40. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: السيد أبو الحسن علي الحسني الهندي الندوي- ط13- المكتبة التوفيقية- القاهرة.
41. المجتمع الإسلامي: د. مصطفى عبدالواحد- ط2- 1404هـ- دار البيان العربي- جدة.
42. المجتمع المثالي في الفكر الفلسفي وموقف الإسلام منه: د. محمد سيد أحمد المسير- ط/2- 2002م- دار المعرف- القاهرة.
43. مجلة البيان: العدد22- مكتبة شبكة مشكاة الإسلامية- ربيع الأول 1410هـ- أكتوبر 1989م.
44. معجزة القرآن: محمد متولي الشعراوي (المتوفى:1418هـ)- ط1- 1398هـ- 1978م- المختار الإسلامي للطباعة والنشر - القاهرة.
45. المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة: أحمد عمر أبو شوفة- ط. 2003م- دار الكتب الوطنية- ليبيا.

46. المعجزة الكبرى القرآن: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة- (المتوفى:1394هـ)- ط1- 1390هـ-1970م- دار الفكر العربي- القاهرة.
47. المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى:360هـ)- تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي- ط1- 1415هـ-1994م- مكتبة ابن تيمية- القاهرة.
48. منهج القرآن في بناء المجتمع: محمود شلتوت- ط. 1375هـ - وزارة الأوقاف.
49. مجلة البيان: العدد22- مكتبة شبكة مشكاة الإسلامية- ربيع الأول 1410هـ-أكتوبر1989م- عن مقال بعنوان: قائد وأمة- د. محمد محمد بدري.
50. منهج القرآن في تربية المجتمع: د. عبد الفتاح عاشور أستاذ التفسير وعلوم القرآن جامعة الأزهر- ط1-1399هـ-1979م- مكتبة الخانجي- القاهرة.
51. أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية: أحمد علي الملا- دار الفكر- دمشق- ط2-1401هـ-1981م.
52. أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة: عبد الله الجربوع- عمادة البحث العلمي- الجامعة الإسلامية- ط1-1423هـ- المدينة المنورة.
53. الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة: محمد شريف الشيباني- «أوفر الأنبياء والشخصيات الدينية حظاً من النجاح (الموسوعة البريطانية) -ط. 1988- دار الحضارة العربية-بيروت.
54. العلاقات العامة في الخدمة الاجتماعية: إسماعيل مصطفى سالم- ط. 1999م- مطبعة هشام- كفر الشيخ.
55. التربية الأخلاقية الإسلامية: أ.د مقداد يالجن- ط. 1977م- دار عالم الكتب- الرياض.
56. حضارة العرب: غوستاف لوبون- ترجمة: عادل زعيتر- ط. 2012م- مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة-مصر.
57. القرآن أصل التربية وعلم النفس: أحمد جهان الفورتيه- ط. 1994م - دار الملتقى للطباعة والنشر- ليماسول - قبرص.
58. دور وسائل الإعلام في إدارة التنوع الثقافي والاجتماعي (دراسة حالة): د. حبيبة عثمان عباس الطيب- ط. 2019م- مجلة العلوم الاجتماعية-السودان.
59. الدولة ونظام الحكم في الإسلام: د. حسن السيد بسيوني- ط1. 1405هـ-1985م- عالم الكتب-القاهرة.
60. أسس النظام الاجتماعي في الإسلام: د.عبدسالحميد عيد عوض- ط1-2014م- وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية- آفاق- الكويت.